عَن مُعاذِ بنِ جبلٍ ﷺ قال:

١ كنتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ،

٢ فقال: «يا معاذُ!، أتدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ؟ وما حقُّ العبادِ على اللهِ؟»

٣ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ.

٤ قال: «فإنَّ حقَّ الله على العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا.

٥ وحقَّ العباد على الله أن لا يُعذِّب مَن لا يُشرك به شيئًا».

٦ قلتُ: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: «لا تُبَشِّرْهم فيتَّكلوا»

متفق عليه(١٤).

(١٤) البخاريُّ (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

آيات

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]

الراوي

هو: أبو عبد الرحمن، معاذُ بنُ جبلِ بنِ عمرٍو الأنصاريُّ، أَسلَم وعمره ١٨ سنةً، وشَهِد بيعة العقبة والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكان أَعلَم الصحابة بالحلال والحرام، جَمَع القرآن في حياة النبيِّ ﷺ. بَعَثه النبيُّ ﷺ أميرًا على اليمن، توفِّي ﷺ في طاعون عَمْوَاسَ في خلافة عمرَ سنة (١٨هـ)، وعمر ٣٨ أو ٣٤ سنةً(١)(١).

خلاصة

يُخبر النبيُّ ﷺ أنَّ لله حقًّا على عباده، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، كما أنَّه سبحانه تعهد بألَّا يعذب مَن لا يشرك به. وقد نهى النبيُّ ﷺ معاذًا أن يُحَدِّث بهذا الحديث لئلا يتكلوا عليه ويدعوا العمل.

(١) تراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٥/ ٢٤٣١)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٤٠٢)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٥/ ١٨٧).

فقـــه

١ كان معاذٌ **راكبًا خلفَ النبيِّ** ﷺ على حمارٍ :

٢ فأراد ﷺ أن يثير تعلمه فسأله : هل تَعرِف ما الذي يستحقُّه على عباده مما جَعَله واجبًا عليهم ؟ وما حقُّ العباد الذي أَوجَبه الله على نفسه؟

٣ فأجاب معاذٌ رضي الله عنه بـ«الله ورسوله أعلم» ؛ أي : أنا لا أدري . .

وهذه العبارة تقال في أمور الشرع ، أما إذا سُئل الإنسان في أمرٍ من أمور الدنيا أو أمور الغيب ونحوها مما لا يعلمه رسول الله ﷺ فيقول : "الله أعلم" .

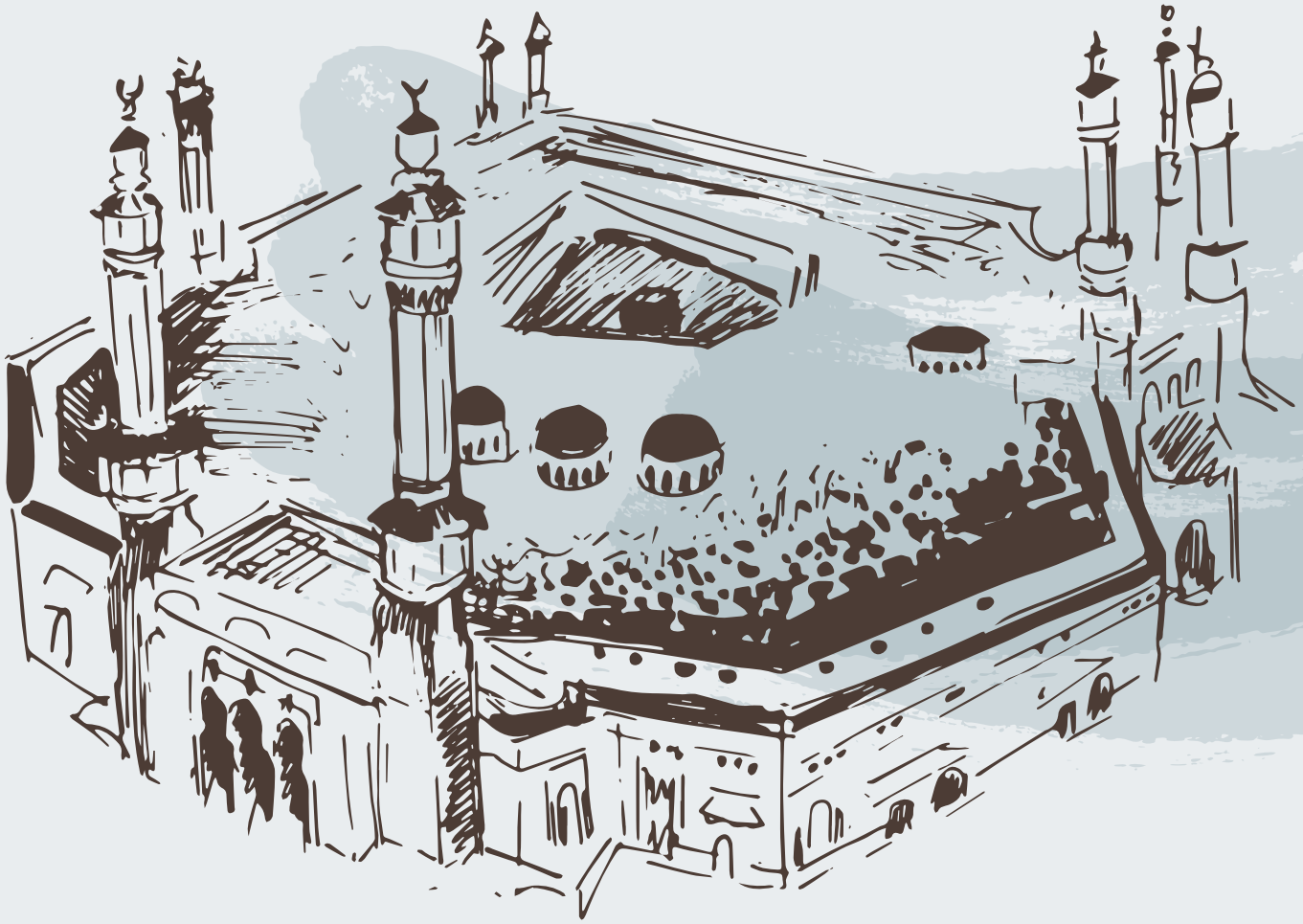

٤ فبيَّن النبيُّ ﷺ الجوابَ؛ فذكر أنَّ حقَّ اللهِ -جلَّ وعلا- على عباده أن يتوجَّهوا بالعبادة إليه، والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه اللّه ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظّاهرة[١٥]، وهي حالة من الذل والطاعة وتوجه القلب للمعبود، ولا بد مع عبادة الله[١٦]: ألا يُشركوا معه في العبادة أيَّ أحد -ولو كان نبيًا أو ملكًا أو صالحاً-، ولا بأيِّ شرك -ولو قل، ولو بمجرد اللفظ-، فهذا حق الله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]،.

٥ وحقُّ العباد على الله -وهو حقٌّ أوجبه الله تعالى كرمًا منه على نفسه ولم يكن واجبًا عليه [١٧]-؛ أنهم أن عبدوه ولم يشركوا به: ألا يُدخِلهم النار فـ«مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»[١٨]: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومعنى ذلك أنَّ المسلم المُوَحِّدَ لا يُخلَّد في النار أبدًا؛ فإن كانت حسناته أغلب دخل الجنة وحَرُم على النار، وإن كان من أهل المعاصي وسيئاته أغلب فأمره إلى الله؛ إن شاء عذَّبه ما شاء ثم صرفه إلى الجنة، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة. وأما من مات على الشرك، فإنه لا يدخل الجنَّة، بل يُخلَّد في النار أَبَد الآباد، من غير انقطاع عذاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨][١٩].

٦ فلمَّا سمع معاذٌ تلك البشرى من النبيِّ ﷺ أحبَّ أن يُبَشِّر الناس بذلك، فاستشار رسول الله ﷺ، فأشار عليه ﷺ ألا يفعل ذلك؛ لأنَّ بعضهم ربما إذا علِمَ ذلك اتكل على توحيده، وتكاسل عن الطاعات وتركها.

وجاء في الروايات الأخرى ما يشير إلى أن معاذًا فهم أن النهيَ وصية نبوية لمصلحة عدم الاتكال، وأن ذلك لا يمنع من التحديث لمصلحة العلم ونحوه، ولهذا أخبر معاذٌ بها عند موته تأثمًا أن يكتم العلم.

---

(١٥) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩، ١٥٠).

(١٦) «فتح الباري لابن حجر» (١١/ ٣٣٩).

(١٧) «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» للكورانيّ (٥/ ٤٣٨).

(١٨) مسلم (٩٣)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(١٩) «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبيِّ» (١/ ٢٩٠)

اتّباعي

١ لا تتكبر عن المركب غير الفاخر، وراقب نفسك حين تنفر من الجلوس بجانب طبقات الناس، أو الأكل معهم، مما قد يشير لكبر ظاهر أو خفي، فقد ركب النبيُّ ﷺ على حمارٍ، وركب معاذٌ خلفه، وهو أسوتنا في التواضع، والانبساط مع الناس.

٢ لا تمتنع من الانتفاع بما سخره الله تعالى من الدواب، واستعمل ذلك باعتدال، فقد ركب النبي ﷺ هو ومعاذ على دابة واحدة.

٣ اتبع النبيُّ ﷺ في تعليم معاذٍ أسلوب السؤال؛ ليستحثه على إعمال العقل، وليثبت في قلبه الجوابَ بعد أن عجز عنه، فينبغي على الداعية أن يختار من الوسائل ما يستثير الهِمَم، وينشط العقول، ويجذب الأسماع والأفهام.

٤ اليس عيبًا أن يجهل الإنسان شيئًا من أمر الدنيا أو الدين، فما ضرَّ معاذٌ - وهو أعلم الناس بالحلال والحرام - أن يقول لما لا يعلم: «الله أعلم». فتجنب أن تفتي في الدين بغير علم لكبر أو حياء: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨- ١٦٩]، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦- ١١٧].

٥ اكلُّ حق تطلبه من الناس أو يطلبه الناس منك: فهناك حقٌّ أعظم منه، وهو حق ربك عليك، وهو حقٌّ أزيد من عددِ كلِّ نعمة منه عليك، فتذكره دائماً، ولتكن حياتك دائرة عليه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

٦ الله يريد منك ألا تشرك به شيئاً، أي شيء، فكما تجتنب الشرك الأكبر من عبادة الأصنام، والاستغاثة بالنجوم، والتوسل بكلمات للقوى الخفية، فتجنب الشرك الأصغر، كالحلف بالمخلوقين ولو كان النبي ﷺ، ووضع الخرز التي تدفع العين -زعموا-، أو الشرك بإرادة الناس يتحسين الصلاة ونحوها، وفي الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[٢٠].

٧ راقب قلبك، وقاوم كلَّ شرك يغزوه، وأبشر بالخير، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا [أي من الذنوب]، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[٢١].

٨ أحاديث الرُّخَص لا تُشاع في عُموم الناس؛ لئلَّا يَقصُر فَهْمُهم عن المراد بها، وقد سَمِعها معاذٌ فلم يَزدَد إلا اجتهادًا في العمل وخشية لله عزَّ وجلَّ، فأما من لم يبلغ منزلته، فلا يؤمَن أن يُقصِّر اتِّكالًا على ما يفهمه من الخبر[٢٢]. وقريبٌ من هذا قولُ ابن مسعود ﷺ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[٢٣].

---

(٢٠) مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢١) الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠).

(٢٢) «فتح الباري لابن حجر» (١١/ ٣٤٠).

(٢٣) انظر: مسلم بعد حديث رقم (٥).